مارسيل خليفة في حديث شامل ومطوّل الى «المستقبل»: (٢)

بلى! تواطأت مع الحسّ الجماهيري عندما كان الصراع دامياً للغاية وكنت مقتنعاً بذلك

خلال مسيرة ربع قرن انجز مارسيل خليفة عشرات الاغنيات التي اذا ما اردنا انصافها اليوم نقول انها اغنيات فحسب من دون التصنيف الجاهز الى أغنية ملتزمة أو وطنية او سياسية او ما الى ذلك من تسميات راجت في فترة معينة. كان على خليفة ان يخوض تجربته الخاصة منذ «وعود من العاصفة» وصولا الى «جدل» وجديده غير الصادر بعد «جسد» و«متتاليات اندلسية» ليدخل من الموسيقى الى الموسيقى، ليخلص مشروعه مما علق به على الطريق، وليعود الى البدايات، أي الى الولع الشخصي والحسي بالموسيقى، من دون ان يكون تخلّى عنه في اي وقت من الاوقات. ربع قرن وما يزال خليفة يتطور نظريا وعمليا وانسانيا، اي ما يزال في مرحلة البدايات التي لا يحدّدها سوى الطموح الى الحقيقي والصافي. ربما لا نحب هذه الاغنية او تلك عند خليفة، ربما نفسره بهذه الطريقة او تلك، لكنه يبقى صاحب مسيرة كبيرة طبعت حياتنا وذائقتنا وذاكرتنا من خلال اغنيات تجاوزت راهننا وراهننا وقتذاك، الى كلاسيكيات الغناء والموسيقى، وهذا هو التحدي الاكبر الذي فرض على خليفة، كما على اخرين، اي كيف ينجوا بفنهم من الآني والعابر، من محض ذائقة شعبوية تحول دون التطور، الى الافق الاوسع، حيث هناك مكان لعبارة اخرى وهاجس آخر. في هذا الحوار المطوّل نتحدّث مع خليفة حول البدايات، الطفولة والعائلة، الاغنية والالتزام، الراهن السياسي اللبناني والعربي، واحلام الموسيقى راهنا ومستقبلا.

نشرنا أمس الحلقة الاولى من الحوار، هنا الحلقة الثانية والأخيرة.

حاوره: سامر أبو هواش

● مع زوجته يولا وولديه بشار ورامي في ١٩٨٦

● مع ابنه رامي في أبو ظبي، ١٩٩٨

● مارسيل خليفة

أن تصدر أسطوانة في هذا الزمن نضال.. ونضال أيضاً أن تتمسك بحلم مع هذا المد الطافح بالقذارة والبؤس اللذين نعيشهما

● بالنسبة الى الاسماء الكلاسيكية في الموسيقى العربية مثل سيد درويش وعبد الوهاب والقصبجي وغيرها، هل كانت حاضرة منذ البداية في خلفية ثقافتك الموسيقية؟

- بالطبع، لكن لكي أكون منصفا وحقيقيا في هذا المجال علي ان اقول انه بالإضافة الى دراستي الجدية على اساتذة كبار في الكونسرفتوار كان هناك نتاج الرحابنة، فالاخوان رحباني شكلا بالنسبة الى مدرسة موازية من خلال تتبعي لاعمالهما سواء المسرحية او المحض موسيقية، بعد ذلك جاءت موسيقى عبد الوهاب والقصبجي وسيد درويش، لكن البدايات كانت رحبانية.أذكر أنني كنت انتظر بث مسرحياتهم على الاذاعة، وفي ١٩٦٣ وكنت صغيراً أذكر أنني انتظرت بث «بياع الخواتم» وكنت انتظر إعادة بثها باستمرار، كان هناك شيء في اعمال الرحابنة يسحرني ولا سيما في مسرحيات مثل «الشخص» و«ناطورة المفاتيح» و«هالة والملك»..

الرحابنة

● هل حاكيت الرحابنة في البدايات؟

- من دون ان ادري هناك تأثيرات بالطبع، لكن منذ بداية عملي سواء مع كركلا او في «وعود من العاصفة» كان هناك خط مختلف. هناك مخزون داخلي من الآخرين لكن عليك ان تقوله بلغتك، حتى في الكونسرفتوار حين كان فريد غصن يعطيني احدى مقطوعاته لاعزفها كنت احاول ان اعزفها بطريقة خاصة، اي كأنني انا مؤلفها، ربما الخصوصية تأتي من هنا..

● لكن في اعمالنا الاولى غالبا ما نشعر او نعرف باننا قريبين من هذا الموسيقي او ذاك..

- ألّفت عملا موسيقيا لم اذكره سابقا هو بعنوان «مرق الصيف» وقدّم في مهرجانات جبيل في ١٩٧١، وهذا العمل الذي لم يصدر كان متأثرا كثيرا بالرحابنة.. طلب مني وقتذاك كوني ابن المنطقة ان اقدم شيئا فجمّعنا بعضنا، مجموعة هواة، وقمنا بهذا العمل الموسيقي الغنائي الراقص. بالتأكيد هناك تأثيرات موسيقية لا يمكن اخفاؤها..

● هل كنت تستمع في بداياتك الى ام كلثوم، علما ان هذه الاخيرة لم تكن مفضّلة لدى بعض اليسار؟

- لا علاقة لليسار بالموضوع، واليسار لم يؤثر عليّ فنيا بهذا المعنى، نحن اقنعنا اليسار ببضعة اشياء، لا العكس. لم استمع، صغيرا، الى ام كلثوم، والمرة الاولى سمعتها عبر الراديو في ١٩٦٤ حين غنت «انت عمري» في ذلك اللقاء الشهير مع عبد الوهاب، ومنذ ذلك الوقت اغرمت بام كلثوم تلك المرأة الاستثنائية ذات الصوت والشخصية الخارقتين، ثم ان ام كلثوم كانت شديدة الارتباط بقضايا بلادها، ليس بالضرورة من خلال اغنيات مثل «اصبح عندي الان بندقية» لكنها سخّرت اعمالها لوطنها، وبعد النكسة، مثلا، كانت ام كلثوم حاضرة في كل مكان لدعم مصر والمجهود الحربي..

● بصرف النظر عن ذلك تبقى اهميتها الكبرى في صوتها؟

- صوتها خارق كما قلت لك، لا يتكرّر.

● ذلك التقسيم الذي كان سائدا في الستينات والسبعينات الى فن صالح وآخر طالح وفقا لمعايير ايديولوجية، الم يكن مفيدا للموسيقى العربية لو لم تقع فيه؟

- خلال الوقت الذي تتحدّث عنه كنت استمع الى وديع الصافي في اغنية «ولو» مثلا وبدهشني صوته الساحر، لكنني كنت استمع ايضا الى اغنيات عبد الحليم حافظ، وربما وقتذاك كان يستغرب البعض كيف يسمع المرء وديع الصافي وعبد الحليم في الوقت نفسه، كنت احب عبد الحليم وألمس تلك الخصوصية في الاداء.. ثم ان عبد الحليم بالذات رافقني مثلاً خلال مراهقتي.. التقسيمات التي تتحدث عنها لم أعشها شخصيا..

● بالنسبة الى فيروز هل حلمت خلال حياتك المهنية ان تغني لك؟

- عرفت الاخوين رحباني في فيروز ربما لانني احب الموسيقى والشعر، ولا مرة كانت فيروز مفصولة عن الرحابنة وحين اسمعها افكر بعاصي الرحباني.. حين كنت صغيرا كتبت شيئا بعد مشاهدة احدى المسرحيات لها، كتبت نص حب لها، وفي مرة اخرى خضعت الى عملية بسيطة وخلال صحوي من المخدّر رحت اردد اسم فيروز.. اكيد حين يكبر المرء يعي الامور بطريقة اخرى.. مثلما يحلم كل موسيقي بأن تغني له فيروز حلمت كذلك، لكن ربما وصلنا متأخرين ثم ان فيروز مكتفية، كان لديها الاخوان رحباني ثم زياد الرحباني..

● لكنها غنت لآخرين؟

- اجل، لكن الاحساس او الحلم بأن تغني لي فيروز كان في وقت سابق..

● لم تنشأ لديك عقدة فيروز؟

- بالعكس، اتعامل معها كمغنية كبيرة وحين تغني شيئا جميلا اسمعه..

● تتابع نتاجها؟

- اجل، لكن في السابق كنت اتابعه اكثر.

● لا تزال صورتها عندك على حالها؟

- اكيد لكن الصوت يتعب ربما والانسان يكبر، الزمن قاس، فيروز خسرت الكثير من مقومات صوتها، هذا اذا اردنا التكلم تقنيا، لكن تبقى تلك الذاكرة وذاك الحضور الآسر الذي لم ينقص حتى الآن..

● هل التقيت فيروز شخصيا؟

- لا

● مفارقة...

- مرة واحدة التقينا في المطار صدفة فتقدمت منها وسلّمت عليها لانها بالنسبة الى سيدة كبيرة ورمز..سوى ذلك ليس هناك لقاءات.

● وعاصي هل التقيته؟

- بلى. كان لعاصي ومنصور صديق في عمشيت اسمه كريستوف كرم وكان في كل عيد ميلاد يزيّن مغارة كبيرة وكانت عائلة الرحباني تزوره في الاعياد، وفي احدى المرات احب كريستوف كرم ان يعرفني على الرحابنة فدعاني، ذهبت حاملا العود وكنت متوترا للغاية من فكرة انني سأكون في حضرة هذا المعلم الكبير وكدت اتعثّر بالسجادة اثناء دخولي الغرفة، جلست في حضرة عاصي وقال لي «شو بدك تسمّعنا عمو» فأسمعته وحين انتهيت قال لي عبارة لا انساها «كفي تمرينك .. كفي درسك.. لانو ما في شي مهم غير الدرس» وكانت كلمته مؤثرة...

● الم تحاول التقرّب من الرحابنة؟

- لا، ربما لانني كنت خجولا، ربما لانني لم امتلك الجرأة الكافية، وربما لان العطاء الفني للرحابنة كان يجسّد لي كل شيء، بعيدا من اللقاء الشخصي..

زياد الرحباني

● هناك ظاهرة لافتة هي العلاقة التي على الاقل يرسمها الجمهور بينك وبين زياد الرحباني، وكأن هناك معسكرين او مدرستين او تيارين، هناك فئة تحبك ولا تحب زياد او العكس، وهناك فئة تحبك وزياد معا؟ ما منشأ هذه العلاقة الدرامية بينكما؟

- لا اعرف وجهة نظرك للمسألة، لكن ما تتحدّث لا يعنيني كثيرا، ليس تكبّرا على هذا الواقع، لكن لانني اراه مرضيّا، فما يقوم به زياد مهم للغاية، وهو يتقاطع ويتواصل مع ما اقوم به، هناك احيانا جمهور واحد يحبنا معا، وهناك احيانا عناصر شاذّة لا اعرف عددها.. زياد الرحباني ليس صديقي بمعنى اننا لا نلتقي، احيانا نلتقي خلال التسجيل ونحكي، وسوى ذلك لكل واحد منا همومه وقضاياه ومشكلاته، انما انا احترم وبكل ايمان ما يقوم به لانه في غاية الاهمية واعرف معاناته وقلقه الداخليين، لكن مجدّدا لكل منا خطه واسلوبه وقلقه..

● الم تكونا اصدقاء في السابق؟

- ربما هذا جزء من طبيعتي التي حدثتك عنها اذ لا احب ان اكون موجودا في مكان ما لم يكن لوجودي ضرورة. ربما كان هناك محاولات غير مصطنعة للتقريب بيننا لكن الزمن والسفر والانشغالات جعلتنا كل واحد في مكان.

● هناك من يرى مشروعين موسيقيين مختلفين، بالنسبة اليك تمّ وضعك في الكادر النضالي معظم الاحيان وقد جهدت لايضاح الصورة والهاجس الموسيقي الذي لديك، بينما عند زياد هناك المزاج الشخصي والاحتجاج على الجماهير، فالفرز هو بين مشروعين هل ترى ذلك؟

- لا، اذا اخذت مثلا اغنية «غنّ قليلا يا عصافير» الموجودة في «ركوة عرب» وقارنتها بأي اغنية تصويرية عند زياد الرحباني لوجدت ان الاغنيتين موجودتان في المساحة نفسها، ويتنشقان من الاوكسجين نفسه، وايضا التلوث نفسه الموجود في البلد، هناك وحدة ما، لكن كل منا لديه اسلوبه واتجاهه ولغته. ثم انت تصغّر المساحة وتضعها في حدود بيروت، فحين تخرج من الحدود اللبنانية لا يعود ثمة ما يجري الكلام عليه في بعض زواريب بيروت الضيقة، المساحة مفتوحة لعمل فني مجرد من خصوصية المكان الضيق. لم احب يوما الدخول في الاشياء الخاصة، ربما ساهمت المؤسسات الحزبية بخلق شروخ بيني وبين زياد لغايات معينة وافادة آنية، ووقعت في النهاية الضربة عليها، اي خسرت الاثنين. فهذا الفرز احيانا يكون غير بريء واحيانا لا يتعدى مسألة المزاج الموسيقي..

● البعض يرى زياد ارضيا اكثر في حين انك هوائي وسماوي..

- ربما.. ربما «ما بيطلع معي» اغنية مثل «اشتقتلك»، لكنني احب اغنية مثل «حبيتك تا نسيت النوم» او «صباح ومسا» لا يعني هذا انني لا احب «اشتقتلك» لكنها ليست على مزاجي...

● هل تشعر ان مشروعك الموسيقي ظُلم على صعيد فهمه؟

- مثل كل شخص كان صادقا ووفيا لعمله الى هذه الدرجة يُظلم، يعني انا احب «احن الى خبز امي» وهي من القصائد القريبة الى نفسي، لكن هناك ايضا «احمد العربي» وهي مهمة ايضا، هناك «جدل»، مثلا، وقد جاهدت لاقنع الناس به، ولكي اخرج العود من وراء المغني، ورغم كل شيء استطعت ان اوجد مساحة كبرى لـ «جدل» وحقق غايته وحضوره في النهاية.. في البداية كانت الهوّة صارخة، وكأن النضال يعني ان يمتطي المرء حصانا ويطلق الشعارات اللاهثة... بحثك الموسيقي هو في حدّ ذاته نضال.. ان تصدر اسطوانة في هذا الزمن هو نضال، ليس لاسباب انتاجية وهي متيسّرة لنا بعض الشيء، بل ان تحقق عملا فنيا وان تتمسك بحلمك مع هذا المد الطافح بالقذارة والبؤس اللذين نعيشهما..

الجمهور

● خلال كل نتاجك الفني الم يحدث ان تواطأت مع الحسّ الجماهيري المجرّد من الشغل الفني؟

- بلى! تواطأت لكن على نحو طبيعي، ففي وقت كان فيه الصراع داميا للغاية صرخت وبقناعة «منتصب القامة امشي» و«يا بحرية»، لكن هذا كنت اشعر به من داخلي ولا يمكن ان اقوم به لولا قناعتي..

● احيانا يصبح هناك معادلة جاهزة يمكن تكرارها؟

- لم اقم بالكثير من هذه الاشياء، وفي اية حال اشعر ان اهزوجة «يا بحرية»، مثلا، حلوة على الرغم من انها تتكوّن ثلاث او اربع كلمات وسطر نوتة فقط، اشعر انها اهزوجة تقال في مكان ما او احتفال ما، ولا يزعجني ذلك..

● لكنك ما عدت تغنيها؟

- بلى..

● هل لديك مشكلة محمود درويش مع «سجل انا عربي» مثلا، هل هناك اغنية تعتبر انها تشكل عقبة عندك؟

- ولا مرّة اتجاوب مع الجمهور على هذا النحو هناك دائما برنامج احضّره لكل امسية.. هناك اشياء يحب الجمهور ان يسمعها مثل «يا بحرية» و«وقفوني ع الحدود»... ولكن اذا لم تكن ضمن برنامجي لا اغنيها، مثلا «جواز السفر» و«ريتا» دائما احب ان اغنيها.. لكن ايضا ينبغي ان توضع هذه الاغنيات في اطار البرنامج الذي اضعه..

● لكنك اجريت تعديلات على هذه الاغنيات لم تتركها كما هي؟

- لو استطعت العثور على الشريط الاصلي لـ «وعود من العاصفة» لكنت نشرته كما هو.. احب ذاك النقاء الاول الذي يشبه القبلة الاول التي يبقى مذاقها تحت اللسان..

● لدي منذ فترة شعور بانك تسعى الى ترويض الجمهور فتطلب منه ان يصمت ويصغي، اليس الافضل ان نقدّم نحن عملنا وندع الجمهور ليتصرف كما يشاء ويشعر؟

- فكرة ترويض الجمهور هذه قاسية وانت قاس في هذا الطرح، ولا مرة شعرت انني منفصل عن الجمهور، دائما اشعر بالتواصل معه، لا اطلب منه الاصغاء بهذه الحدّة التي تقولها.. الجمهور يتعامل معنا بحب لكننا نحتاج الى مساعدته احيانا خاصة حين يكون كبيرا، لان الامسية امر صعب ولا بأس اذا طلبت بعض الاستماع احيانا، وفي احيان اخرى احرّض الجمهور على الغناء معنا..

● بعد خبرتك الطويلة في التعامل مع الجمهور كيف تصف علاقتك به اليوم؟

- كل امسية هي قلق كبير وغالبا ما ارتجف قبل كل امسية، لا يمكن تعوّد الجمهور لان كل امسية قائمة بذاتها.. لكن الاهم ان الحفلة احييها انا والجمهور معا، لا استطيع انجاز احتفال وحدي والا كنت اكتفيت بالاسطوانة..

القصيدة

● قلت لي انك التقيت محمود درويش بعد سبع سنوات من غنائك بعض قصائده؟

- كنا نعيش هنا في بيروت وغنيت قصائده لكننا لم نسع الى اللقاء الشخصي، الى ان التقينا صدفة بعد سبع سنوات وصرنا اصدقاء. احببت محمود كما احبني على ما اعتقد.. مرة كتب لي اهداء على احدى دواوينه «الى مرسيل خليفة.. توأم قلبي الفني» احببت هذه الكلمة لان نص درويش يشعرني دائما ان الموسيقى جاهزة بمعنى انني استطيع التعامل معه بسهولة، اي ان هناك كيمياء خاصة في ما بيننا.

● هل قمت بتعديلات على قصائده؟

- لا، لكنني كنت احذف بعض المقاطع..

● هل كان يزعجه ذلك؟

- ربما كان ينزعج احيانا لكنه لم يحتجّ ولا مرة، وغالبا ما يسمع الاغنيات بعد انتهائها، سوى انه مرة قال لي او نبّهني بكل براءة الى قصيدة «انا يوسف يا ابي» فلحنتها، وكان لديه تمن ان ألحن «يطير الحمام»، ولحنت جزءا منها ولم يعجبه ذلك لانه كان يودّ ان تلحّن كاملة..

● هل هناك اغنية لم تعجبه؟

- ربما «الكمنجات» كان يود ان تلحن بطريقة مختلفة..

● لحنت لشعراء كثر لكنك لم تدخل جديا في «قصيدة النثر»، وهذا غريب بعض الشيء فانت تقوم بمشروع تجديدي على صعيد الموسيقى، لكنك لم تفكر بالموازي الشعري..

- لحنت لانسي الحاج من «الرسولة بشعرها الطويل...» لكنها لم تصدر بعد ويفترض ان تصدر في شريط «جسد» مع قصائد اخرى لادونيس وقاسم حداد.. لا تنس انني افكّر بمشروع مواز هو الموسيقى وهذا يحتل الكثير من وقتي اذ حين تحضر الموسيقى يغيب الشعر، مرة قلت لنفسي لو يتركني الشعر قليلا لكي اتفرّغ تماما للموسيقى لشدة ما الشعر حاضر في ثقافتنا، الشعر العربي حاضر بشكل طاغ وهو غني جدا، واظن ان الفنون الاخرى ما زالت حبيسة الشعر..

> **التقيت مرة واحدة فيروز وحدث ذلك في مطار بيروت**

> **هناك أشياء أنثوية في شخصيتي وأحبها لأني لا أحب الفحولية**

عقلنة الطرب

● لديك تحفظ عن الطرب وتنحاز الى ما تسميه الغنائية، لكنك لست ضد الطرب في الشعر؟

- لا اريد ان افهم خطأً في هذا المجال، لست ضد الطرب لكنني ضد الطرب الغرائزي، احب الرقص الشرقي، لكنني لا احب ان يتحوّل الجسد الراقص امراً غرائزياً، ابحث عما ينبع من الداخل.. وهناك راقصات شرقيات قمن باعمال خارقة.. على صعيد الغناء ام كلثوم تؤدي بشكل خارق، ذلك الطرب الآتي من الداخل.. لا احب الاشياء البرانية..

● تطرح «عقلنة الطرب» والكثير من الاحتجاجات قامت ضد هذا الطرح، وبعض الاحتجاجات وجيه اذ كيف نعقلن الموسيقى..

- سأقول لك شيئا، حين ألّفت «جدل» كتبته بأدق تفاصيله، حاولت ان احدد العلاقة بين العود والكتابة الموسيقية، لم ادع العود يقوم بالتقاسيم على جاري العادة، انا مع التقاسيم اذا كان العازف يمتلك مقدرة كبيرة، لكن ماذا يبقى من التقاسيم سوى مجموعة افكار ارتجالية ستتكرر من سهرة الى سهرة ومن جيل الى جيل ومن عازف الى عازف..، جئت في «جدل» من فكرة التقاسيم والارتجال وكتبت عملا موسيقيا، هل بذلك أنسف التاريخ والذاكرة ام أنني احاول ربما الذهاب ابعد، ثم ان هناك شيئاً يأتي على حساب شيء لا تستطيع ان تبقي على كل الاشياء..

● هناك ارتجال في «الجاز» مثلا وهو اصلي وعضوي..

- لست ضد الارتجال، انما الارتجال في «الجاز» عميق جدا وشروطه الموسيقية قاسية، فهو مبني على شروط معينة وعلى توافقات صوتية مكتوبة، انما التقاسيم عندنا حرة الى درجة انها توصل الامور الى رتابة معينة.. لم اجد شخصا متمكنا او كان لديه انجاز في التقاسيم

● هناك فريد الاطرش مثلا..

- هو عازف ماهر وكذلك القصبجي او السنباطي لكن ما هو مقدار ما هو محفوظ ومسجل من هذه التجارب، هذه تجارب ينبغي ان تكتب.

● هناك من يقول ان هاجس الموسيقى الغربية يسيطر عليك، اي ان هناك عائلة كمنجا فانشأت انت عائلة عود..هل يحدد مسار الموسيقى الغربية مسارك في النظرة الى الموسيقى الشرقية؟

- لا فالموسيقى بالنسبة اليّ لغة عالمية، ابني رامي عازف متمكن على البيانو وحين يعزف اي عمل سواء لبرامز او باخ او لبروكيفييف تلمس في عزفه مكونات شرقية، هناك احساس معين، لذلك اقول لك هذه الموسيقى مفتوحة على الاحتمالات كافة، كيف يمكن ان اقفل اذني امام وسائل الاتصال العالمية التي توصّل لك اليوم جميع انواع الموسيقى؟ كيف استطيع تجنيب اذني لهذه المؤثرات.. اليوم هناك الجاز والتانغو والموسيقى الكلاسيكية العالمية واللائحة لا تنتهي، هذا التنويع والانفتاح هما في تقديري مصدر ثراء وهما موجودان عند كل الموسيقيين بمن فيهم الرحابنة لكن المهم ان تشعر ان هذه الموسيقى نابعة من هذا المكان.

النهضة

● هناك رأي يقول بان النهضة الموسيقية العربية بدأها سيد درويش لكن هذه النهضة توقفت على الرغم من العصر الذهبي الذي عاشته الموسيقى لاحقا مع الكثير من الاسماء؟

- شخصية درويش مختلفة عن كل الاسماء التي جاءت بعده، فقد كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بقضايا شعبه، وذهب حتى النهاية في خياراته، وحتى في حياته الخاصة، عمل درويش على الاهازيج الشعبية وطورها، ثم انه يدرس جيدا الموسيقى التركية والموسيقى المشرقية وخلال اربع او خمس سنوات انجز نهضة كبرى لكن عمره كان قصيرا.. درويش كان شخصية متميزة جدا في مشروعه وافكاره وكان ينوي ان يتابع دراسته في ايطاليا.. بعد درويش صار العمل فرديا يعتمد على شخصية فنية، اي صوت معين، لكن مع درويش كان هناك مشروع متكامل شعري مسرحي موسيقي، وهذا لم يتابع كما يجب. صار المشروع احادياً نوعا ما وافتقدت المسرحية التي كان يمكن ان تطور الموسيقى العربية كثيرا.. في تقديري ان الموسيقى تتطور اكثر اذا ارتبطت بالفن المسرحي ودخلت في الدراما ولذلك كان مشروع سيد درويش اكثر تطورا من سواه وكل الموسيقى في العالم تطورت من خلال المسرح..

● عبد الوهاب أدخل الموسيقى في السينما؟

- لكن من خلال اغنيات منفصلة، مع سيد درويش كان الامر مختلفا، كان هناك موضوع مبني على حوار وقصائد مرتبطة بالعمل..

● لم تحاول العمل في المسرح سوى التجربة مع كركلا؟

- بلى، هناك بعض الملامح في «احمد العربي» مثلا، لكن الوضع في البلد في ظل الحرب لم يكن يسمح باكثر من ذلك. بالنسبة الى النهضة تجدر الاشارة الى ان تطور الموسيقى لا يمكن قياسه على مجالات اخرى، تطور الموسيقى بطيء بطبيعته..

● هل طمحت يوما من خلال مشروعك الموسيقي ان تكون التتمة لمشروع سيد درويش؟

- سيد درويش طرح الكثير من الاسئلة واجاب عن بعضها لكنه لم يجب عنها كلها وانا برأيي ليس هناك شخص يمكن ان يجيب عنها بل المجتمع بأسره. الشخصية الموسيقية المشرقية بحاجة الى اشياء كثيرة، لم تصل بعد الى الشيء الحاسم، ما زال هناك تداخل واشتباك بين الموسيقى والكلمة ربما لاننا في مكان الكلمة فيه، اي الفصاحة والبلاغة، هي شيء اساسي.. لذلك نحن بحاجة الى الوقت على الرغم من ان هناك محاولات ناجحة وبدأ الجمهور العربي يستسيغ الاستماع الى امسية موسيقية مجرّدة..

«انا يوسف يا ابي»

● بعيدا عن التجربة المريرة لـ «انا يوسف يا ابي» حين سألت درويش من هم الاخوة الذين لا يحبونه قال لي ليسوا اشقائي في البيت، حين غنيت انت القصيدة من كان الاخوة؟

- هم الاخوة العرب بالتأكيد، ازاء هذا الصمت العربي المريع في الانتفاضة وواقع ان هناك شعبا يسحق بشتى الطرق كل يوم، فماذا يعني هذا اذا الشقيق سيتفرّج فحسب..

● هل تعتقد بالتالي ان محاربة الاغنية قبل عامين كانت للسبب الديني المزعوم ام لهذا السبب السياسي؟

- ارى ان الموضوع سياسي لكن جماعة الدين غلفوها بهذا الاطار.. الحكم جاء في النهاية لصالح الاغنية وكان حكما رائدا، اظن انه لو كان الموضوع دينيا لكان استمر، الموضوع سياسي لكن الدين ايضا يخدم السياسة... بعيدا من الاغنية هناك قضايا تخص المواطن اللبناني الذي يعاني مثلا موضوع الزواج المختلط وفي لحظة من اللحظات توحدت المؤسسات الدينية ضد الزواج المدني ورضخت لها المؤسسات السياسية.. التربية الجنسية منعت في المدارس بناء لقرار ديني ووافقت الطبقة السياسية على هذا الموضوع..

● هناك قضايا اضطهاد كثيرة في العالم العربي من هذا النوع، البعض يرى ان من يتعرضون لهذه الهجمات محظوظون لان هذا قد يكون بمثابة الترويج لهم....

- لست بحاجة الى هذا المجد ولا اريده واكثر من ذلك هذا المجد الزائف. اذ انني لست بحاجة لان يراني احد على التلفزيون داخلا او خارجا من قصر العدل.. ما يهمني ان هناك من وقف مع الاغنية ليدافع عن وجدانه وليس عني.. لا احتاج الى دعاية ولست كثير الاطلالات على التلفزيون... اتعبتني هذه التجربة طوال ستة اشهر وكان لدي مشروع شريط «جسد» الذي اضطررت الى تأجيله لانه كمشروع ايروتيكي سيثير بعض المشكلات..

● لا تفكر باصداره في الخارج؟

- انا فنان لبناني واريد اصدار اعمالي في لبنان.

● هل تعنيك العالمية؟

- ولا مرة فكرت بالاجانب ولا ذهبت الى شركة اجنبية مع ان هناك الكثير من الفرص.. احب ان تصل موسيقاي لكن ليس هناك هدف او قصدية..

● هل يشغلك ان تترك اثرا ما في التاريخ؟

- لا، ربما يبدو عليّ انني جدي لكن في داخلي احب المرح والتسلية في الحياة، كل شيء قمت به قمت به عن حب ومزاج.. ليس لدي وقت للتفكير في التاريخ، ربما الزمن يعنيني بمعنى ان تكون الاشياء نظيفة، يشغلني الزمن، اذ اشعر انه يجري بسرعة وانه عليك القيام بمجهود لتبقى ذاك الولد الصغير في القرية الذي كان يذهب مع امه الى الكنيسة، احب ان يبقى هذا الولد على الرغم من بياض اللحية..

حب

● هل في حياتك قصة حب كبيرة؟

- اولا لا يمكن ان اكتب اي شيء بلا حب. في موسيقاي لمسات انثوية دائمة، والمرأة في حياتي شغلة كبيرة، دائما اشعر ان هناك اشياء انثوية في شخصيتي واحبها لانني لا احب الفحولية، ولا احب النظرة الحاكمة المستبدة والحاكمة من الرجل نحو المرأة.. ارى عمق المرأة واشعر انها حضارية اكثر.. قصة الحب الكبيرة هي تجاه زوجتي يولا التي عشت معها معظم محطات حياتي بحلوها ومرّها.. وفي حياة المرء تمر الكثير من القصص والمحطات التي تدخل فيها الى قصص حلوة واخرى تعذب وتدمر، هذا لانني انسان..

● الا يقسو قلب المرء مع الاضواء؟

- لا اعرف اذا كنت دخلت في القسوة، ما تزال تلك العيون العسلية تسحرني.. منذ فترة حسبت ان المرء حين يكبر يقسو قلبه..لكنني منذ اشهر شاهدت عرضا راقصا لراقصة تدعى «بلانكا لي» وهي من اصل اندلسي درست في نيويورك وطورت في الفلامنغو.. شاهدت العمل وسحرت به وكتبت لها رسالة حب، منذ زمن طويل لم اكتب رسالة لاحد.. لم استطع سوى كتابة رسالة الحب هذه لشدة ما سحرني رقصها.. وصلت الرسالة وردّت علي انها اصيبت بالصمت بعد ان قرأتها لانه منذ زمن لم يصل لها مثل هذه الرسالة، فصار هناك تبادل في المشاعر، وتمنيت ان اشترك واياها في عمل ما، تذكرت كلمة محمود درويش اذ شعرت بتوأم قلبي الفني مع هذه الراقصة التي اعادت الي لحظة الدهشة الاولى.. علينا باستمرار ان نعتمد على هذه اللحظات لانها وحدها التي تبقينا احياء.

(انتهت)

● في قصر العدل في ١٩٩٩ خلال الجلسة الثانية من المحاكمة في قضية «أنا يوسف يا أبي»

● ..وفي نقابة الصحافة ولقاء المثقفين حول القضية